

الأمير يوسف القرضاوي

النَّجْمُ السَّاطِعُ

وَأَخْلَافُ ثِيَابِ مِهْنَةِ التَّعْلِيمِ

مكتبة وهبة

٤ شارع المنشورية، القاهرة
ت. ٢٢٩١٧٤٠ - ٢٢٩١٧٤٦ فاكس ٢٣٩٠٢٧٤٦



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشؤون الفنية

- القرضاوى، يوسف .
التعليم وأخلاقيات مهنة التعليم /
يوسف القرضاوى .-
القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١١
٣٦ ص : ١٤ سم
تدمك ٢٠٠ ٢٢٥ ٩٧٧
١- التعليم .
٢- الإدارة التعليمية .
٣- الأخلاق المهنية .
أ- العنوان .

٣٧٠

محاضرات الإمام يوسف القرضاوى
التعليم وأخلاقيات مهنة التعليم
الإمام يوسف القرضاوى
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -
عابدين - القاهرة
٣٦ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع : ٢٠١١/٨٣٦١
I.S.B.N. : الترقيم الدولي :
977-225-300-3

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة
(للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة
نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء
منه ، أو تخزينه على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ،
أو ميكانيكية . أو نقله بأي وسيلة
أخرى . أو تصويره ، أو تسجيله على
أي نحو . بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر أو المؤلف .

All rights reserved to The Author And
Wahbah Publisher. No Part of this
Publication may be reproduced, stored
in a retrieval system, or transmitted,
in any form or by any means, electronic,
mechanical, photocopying, recording or
otherwise, without the prior written
permission of the publisher And Author.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعليم وأخلاقيات مهنة التعليم^(١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا وأسوتنا ومعلمنا محمداً
عبده ورسوله ، رحمة الله المهداة للعالمين ، صلوات الله
وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، واهتدى
بسنته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحبيكن به بناتي وأخواتي ، تحية الإسلام ، وتحية
الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد)

فلا شك أن أكثركن مرَّ عليَّ بالجامعة ، فأتتنَّ بناتي
وتلميذاتي ، وإن كنتنَّ مديرات وموجَّهات ومشرفات ، وأنا
أعترُ بهذا ، وأعترُ بهذا اللقاء الذي حرصتنَّ عليه ؛ لنحدث في

(١) أُلقيت هذه المحاضرة بمدرسة الشيماء للبنات بالدوحة ، شعبان
١٤١٩ هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٩٨ م ، ولقد أُلقيت هذه المحاضرة
ارتجالاً .

موضوع من أهمّ موضوعات المجتمع والحياة، وهو موضوع: (التعليم وأخلاقيّات مهنة التعليم) .

التعليم هو صانع الأمم :

التعليم هو الذي يصنع الأمم ، وفي عصرنا نجد كبرى الدول وأقواها تهتم بقضية التعليم ، منذ سنوات كان الشغل الشاغل للولايات المتحدة الأمريكية هو قضية التعليم ، وتدهور التعليم ، وكتب مجموعة من المتخصّصين في ذلك كتاباً اشتهر في العالم اسمه : (أمة على حافة الخطر)، أو هكذا تُرجم إلى العربية بهذا الاسم ، يبيّن أنّ هذه الأمة التي وصلت إلى عنان السماء ، ووصلت إلى القمر ، وإلى المريخ ، وهي صاحبة الثورات الست ، وهي : (ثورة التكنولوجيا) ، و(ثورة البيولوجيا) ، و(ثورة الاتصالات) ، و(ثورة الالكترونيات) ، و(ثورة الفضاء) ، و(ثورة المعلومات) ، هذه الأمة صاحبة هذه الثورات ، ترى أنّ التعليم فيها يجعلها على حافة الخطر ، التعليم فيها متدهور ، ولم يعد يُخرج مثقّفين ومثقّفات .

فريق ياباني يرصد سلبيات التعليم في أمريكا :

ولذلك جاءوا بفريق من اليابان ، هذا الفريق جعلوا من وظيفته أن يرصد سلبيات التعليم في أمريكا ، ونواقص التعليم

في أمريكا ، ويقترح الحلول للمشكلات ، والأدوية للأمراض والمعضلات ، هذا ما تفعله أمريكا .

ولذلك ينبغي علينا نحن أن نراجع أنفسنا ، ونراجع فلسفتنا ومناهجنا وأخلاقيّاتنا التعليمية .

مشكلة التعليم في بلادنا العربية والإسلامية :

أقول لكم : للأسف إنّ التعليم في بلادنا العربية يُشكى منه على كلّ مستوى ، ما عاد يخرج العلماء ولا المثقفين ولا المثقّفات ، هناك أناس يحفظون بعض الأشياء ويضعونها على ورقة الامتحان ، يتقيّؤونها ، وبعد الامتحان ينسون كلّ شيء ، وبعد أن يتخرجوا ينشغل كلّ واحد بحياته ، ولا يكاد يذكر شيئاً من العلم ، الذي تعلّمه في الكلية أو في المرحلة الثانوية أو الإعدادية ، يكاد يكون قد نسيه ، ولا يستمرّ في طلب العلم .

نحن المسلمين عندنا حكمة تقول : (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) . يعني : أن الإنسان يظلّ يطلب العلم حتى يموت ، ولذلك كان بعض علمائنا - وهو على فراش الموت - يقول لبعض تلاميذه : اقرأ عليّ شيئاً من القرآن ، أو ارو لي حديثاً بسنده ، أو اقرأ لي في كتاب من كتب الأدب ، أو اللغة . وهو يحتضّر ، حتى يظلّ فعلاً إلى الممات يطلب العلم .

أما ما نراه في بلادنا العربية والإسلامية ممّن يتخرّجون ،
ولا يكاد العلم يظهر في حياتهم ، فهو نتيجة حتمية للقصور
والتقصير في فلسفة العلم ومناهجه وأنظّمته .

مقوّمات التعليم :

العلم يقوم على عدّة أركان ودعائم : العلم يقوم على
المنهج ، وعلى الكتاب ، وعلى الإدارة ، وعلى الطالب ، وعلى
المعلّم . فالمعلّم أحد أركان العلم ، هم الآن يسمّونه (مربيًا) .
إن وزارات التربية - فيما مضى - كانت تُسمّى : (وزارات
المعارف) ، أي المعلومات ، فوجدوا أن هذا الاسم لا يكفي ،
فليس المقصود أن نلقّن الناس المعارف ، ونحشو الرؤوس
بالمعلومات ، نحن مهمتنا أن نربّي ، أي أن نصنع الإنسان ،
الذي يؤدّي مهمّته في الحياة ، ويعرف أن له غاية ، وأنّ عليه
واجبًا ، وأنّه يحمل عبئًا ورسالة ، هذه مهمّة التربية ، ولذلك
غيّروا في معظم بلادنا العربية عنوان الوزارة من (وزارة
المعارف) ، إلى (وزارة التربية والتعليم) .

التزكية إحدى المهام النبوية :

التعليم يتعلّق بتتوير الرؤوس وصقلها ، والتربية تتعلّق
بتزكية النفوس وتهذيبها ، وهذان أمران لا بدّ منهما ،
ونجدهما في ما وصفه القرآن من مهمّة رسول الله ﷺ ، وذلك

في أربع آيات من كتاب الله : في سورة البقرة ، وسورة
آل عمران ، وسورة الجمعة .

في سورة البقرة يدعو إبراهيم عليه السلام ربّه فيقول :
﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (البقرة: ١٢٩) .

وقوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ
ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٥١) .

وفي سورة آل عمران يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران: ١٦٤) .

وفي سورة الجمعة يقول تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ
فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢) ،
في الجاهلية كانوا في ضلال مبين ، عبدوا الأحجار ، وعبدوا
الآلهة من العجوة ، فإذا جاعوا أكلوها ، فأَيُّ ضلال أبين من
هذا الضلال !

معنى التزكية :

فالنبي ﷺ مهمته تلاوة الآيات والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة ، فما معنى التزكية ؟

التزكية : مأخوذة من (مادة) زكا وزكاة ، والزكاة لها معنيان :
الطهارة والنماء ، ومعنى يزكّهم ، أي : يطهّرهـم وينمّيهم ،
يطهّرهـم من الشرك ، وينمّيهم بالتوحيد .

الصوفية يقولون : (تخلية وتخليّة) .

أي : يخلّيهم من الرذائل ، ويحلّيهم بالفضائل .

يطهّرهـم من النفاق ، وينمّيهم بالإخلاص .

يطهّرهـم من رذائل الجاهلية ومفاسدها ، ويحلّيهم وينمّيهم
بمحاسن الإسلام وأخلاقيّات الإسلام .

فكان النبي ﷺ يزكي ويعلم ، يزكّيهم ويعلمّهم الكتاب
والحكمة . ولذلك أنشأ جيلاً جديداً ، لم ترَ عين الدنيا مثله ،
الجيل القرآني النبوي ، الجيل المحمدي أفضل أجيال الدنيا
على الإطلاق ، النبي ﷺ هو معلّم هذا الجيل ومربيّه ، غيره
تغييراً كلياً .

ولا نجد أفعال في التغيير من الإيمان ، أن نصب الإيمان في
عروق المتعلّم ، فننشئه خلقاً آخر ، وهذه هي مهمّة المعلّم

الأسوة ، أن يحاول أن ينشئ الإيمان في نفسية مَنْ يعلمه ، بدون هذا لا نستطيع تغيير الإنسان ، الإنسان يتغير حقاً إذا تغير إيمانه ، ولذلك رأينا الصحابة الذين عاشوا في الجاهلية كيف أصبحوا أصحاب محمد ﷺ؟ كيف حملوا الرسالة إلى العالم؟ كيف انتصروا على كسرى وقيصر ، والفرس والروم؟ إنه الإيمان!

بتزكية وتربية النبي انتصر الصحابة على الفرس والروم :

الفرس والروم أشبه في عصرنا بالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، انتصروا على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وهم هؤلاء البداءة الأعراب ، الذين عاشوا في الصحاري ولم يكن عندهم علم الأمم الأخرى . لم يكن عندهم فلسفة اليونان ، ولا قانون الرومان ، ولا حكمة الهند ، ولا فلسفة الصين ، ولا مدنية الفرس ، كيف استطاعوا أن ينتصروا على هؤلاء؟ استطاعوا ذلك بتزكية محمد ﷺ وتربيته وتعليمه ، أنشأ رسول الله ﷺ هذا الجيل النموذجي المثالي ، الذي حمل رأسه على كفه ، ونشر الإسلام في العالم .

نحن في حاجة إلى أن نتعلم أخلاقيات التعليم من نبينا محمد ﷺ ، فهو المعلم الأول ، نتعلم منه كيف استطاع أن ينشئ جيلا جديدا؟ كيف رباه على يديه ، وصنعه على عينيه؟

ثم هذا الجيل بدأ يربِّي العالم بعد ذلك ، فالله ربِّي رسوله ﷺ فأحسن تربيته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ، والنبى ﷺ ربَّى الصحابة فأحسن تربيتهم ، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم ربُّوا العالم .

ما أحوجنا إلى أن نتعلَّم من نينا :

نحن في حاجة إلى هذا النموذج النبوي المحمدي ، نضعه نُصَبَ أعيننا ، فلا شك أنَّ المعلِّم الأول هو محمد رسول الله ﷺ ، حينما دخل ﷺ المسجد ، ووجد فيه مجلسين : أحدهما : مجلس فيه أناس يذكرون الله ويدعونه .

والثاني : مجلس فيه أناس يتعلَّمون العلم ، يعلم بعضهم بعضا .

كلا المجلسين على خير ، ولكن أحدهما أفضل من الآخر ، فقال ﷺ : « أما هؤلاء فيذكرون الله ويدعونه ويسألونه ، فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلَّمون ويُعلِّمون ، وإنما بعثتُ معلِّما » وجلس مع المعلِّمين المتعلِّمين^(١) .

(١) رواه ابن ماجه في الإيمان (٢٢٩)، والدارمي في المقدمة (٣٤٩)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (٩٧٢٦)، عن عبد الله بن عمرو .

وفي صحيح مسلم ، أنه ﷺ قال : « إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا مُتَعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً »^(١). قال ذلك لعائشة رضي الله عنها حينما نزلت آية التخيير ، التي أمر الله فيها رسوله ﷺ أن يقول لنسائه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٢٨)، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ، وأرشدتها أن تستشير أبويها ، قبل أن تقول : نعم أو لا . فقالت له : أفيك أستمُر أبوي ، يا رسول الله؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ولكني أسألك أن لا تُخبر أحدا من نسائك . فهي قد اختارت الله ورسوله ، ولكنها تطلب من رسول الله ﷺ أن لا يُخبر ضرائرها ، حتى تنفرد برسول الله ﷺ ، فالغيرة النسوية تدفعها لذلك ، وكأنها تتمنى أن يختار ضرائرها من أمهات المؤمنين الدنيا وزينتها ، ويكون الرسول لها وحدها ، فقال لها الرسول ﷺ : « يا عائشة ، إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا مُتَعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً » . فالنبي ﷺ هو المعلم الميسر .

المنهج النبوي في التعليم قائم على التيسير :

من أهم ما ينبغي أن يتعلمه المتعلم ، من رسول الله ﷺ ، التيسير ، أي أن يكون ميسراً في أسلوبه ، ميسراً في تعامله ،

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، عن جابر .

ميسراً في طريقته ، التيسير لا التعسير ، هذا ما أمر النبي ﷺ ،
كما روى عنه خادمه أنس رضي الله عنه ، أنه قال : « يسروا ولا تعسروا ،
وبشروا ولا تنفروا »^(١).

وحينما بعث ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى
اليمن ، أوصاهما بهذه الوصية الجامعة الموجزة ، فقال :
« يسراً ولا تعسراً ، وبشراً ولا تنفراً ، وتطاوعا ولا تختلفا »^(٢).
فينبغي أن نعتد منهج التيسير في كل شيء ، نأخذ الأمور
بالتيسر لا بالعسر .

١ - الرفق بالمعلمين :

ومن التيسير : الرفق ، أن يرفق المعلم بالمتعلم ، لا يأخذه
بالعنف ، كما قال النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق ،
ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي
على ما سواه »^(٣).

(١) متفق عليه : رواه البخاري في العلم (٦٩) ، ومسلم في الجهاد والسير
(١٧٣٤) ، عن أنس .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٣٠٣٨) ، ومسلم (١٧٣٣) ، كلاهما في
الجهاد ، كما رواه أحمد (١٩٦٩٩) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣) ، عن عائشة .

وقال : « ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه »^(١).

وفي الصحيحين وغيرهما ، عن عائشة رضي الله عنها ، دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ ، فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : وعليكم السام واللعة . قالت : فقال رسول الله ﷺ : « مهلا يا عائشة ، إن الله يحب الرفق في الأمر كله » . فقلت : يا رسول الله ، أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : « قد قلت وعليكم »^(٢) . أي الموت مكتوب عليّ وعليكم ، كما قال الله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠) ، والموت مكتوب على الناس جميعا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فالرفق مطلوب دائما ، والله تعالى قال لرسوله ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) . لأن الناس لا تطيق الغلظة ولا الفظاظة ، ولو كانت من رسول الله ﷺ ، وقد قال الله تعالى في وصف رسوله ﷺ :

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢١٨٠)، عن عائشة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الآداب (٥٦٧٨)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، كما رواه الترمذي في الاستئذان (٢٧٠١) .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) ، أي يشق عليه أن يعنتكم أو يحرجكم أو يضايقكم .

هذه أوصاف النبي ﷺ .

٢- المعلم لتلاميذه كالوالد لأبنائه :

وكان النبي ﷺ يعامل أصحابه كما يعامل الوالد أولاده ، ويقول : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد لولده »^(١) . وهكذا ينبغي أن يكون كلُّ معلِّم مع تلاميذه ، يكون كالأب لأبنائه ، والمعلمة تكون كالأم لبناتها ، فتعال توقيرها واحترامها من المتعلِّم .

يقال : إن الإسكندر الأكبر كان يحترم معلِّمه ، حتى قيل له : إنك تحترم معلِّمك أكثر من أبيك ! قال : نعم ؛ لأن أبي سبب حياتي الفانية ، ومعلِّمي سبب حياتي الباقية . يعني : أبي يربي جسمي ، ومعلِّمي يربي عقلي ، ويعلمني ما لا بد لي منه ، حتى أنجو في آخرتي . يقول الشاعر في ذلك :

فذاك مُربُّ الرُّوح ، والرُّوح جوهرٌ

وذاك مُربُّ الجسم ، والجسم كالصدف

(١) رواه أبو داود (٨)، والنسائي (٤٠) ، وابن ماجه (٣١٢) ، وابن حبان (١٤٣١) ، أربعتهم في الطهارة ، وابن خزيمة في الوضوء (٨٠) ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٢) ، عن أبي هريرة .

ولذلك كي تنال المعلمة توفير المتعلمة والتلميذة ، لا بدّ أن تُشعرها بالأمومة ، أنها لها مثل الأم تحرص عليها ، تحبُّ الخير لها ، تحبُّ أن ترقى بها ، تحبُّ أن يكون يومها أفضل من أمسها ، وغدها أفضل من يومها ، هذه الروح هي التي يجب أن تسود كلّ المعلمات .

٣- الرفق بالمخطئ :

الرفق لا بدّ منه ، وخصوصا بالمخطئ ، قد تسأل المعلمة إحدى التلميذات فتُجيب جوابا فيه خطأ ، أو فيه غباء أحيانا ، فالتلميذات قد يضحكن ، وقد تشاركهنَّ المعلمة في هذا ، أو تسخر من البنت ، فتذلها أمام زميلاتهنَّ ، وتحطم شخصيتها ، هذا لا ينبغي أن يصدر من معلمة حقيقية ، لا بدّ أن نشفق على المخطئ ، ونأخذ بيده ، ونحنو عليه ، وهكذا كان يفعل النبي ﷺ بمن أخطأ .

دخل أحد الصحابة في الإسلام جديدا ، هو معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه يقول: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أماءه ، ما شأنكم تنظرون إليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمّتوني سكتُ . فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي هو وأمي ،

ما رأيتُ معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما نهزني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : « إِنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن »^(١). فهكذا ينبغي أن نشفق على المخطئ ونرفق به .

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن ، أن أحد الأعراب جاء إلى مسجد النبي ﷺ ، وكان مسقوفاً بالجريد ، ومفروشا بالحصباء - وليس كمساجدنا مفروشا بالسجاد أو الموكيت - وكانت الكلاب تغدو فيه وتروح ، وتقبل وتدبر ، فهذا الأعرابي حصره البول ، فانتحى ناحية من المسجد ، وذهب يبول ، فهاج عليه الصحابة ، فقال لهم النبي ﷺ : « مه مه - أي دعوه - لا تقطعوا عليه بولته ، وصبوا على بوله ذنوبا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين »^(٢).

فهذا شأنُ المعلِّم أن يرفق حتى بمن أخطأ ، النبي ﷺ عرف أن هذا رجل بدوي ، جاء من البادية ، ولم يتهدَّب بعدُ بأخلاق

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٢) ، وأبو داود (٩٣٠) ، والنسائي (٥٢١) ، كلاهما في الصلاة ، عن معاوية السلمي .

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٨) ، عن أبي هريرة .

الإسلام ، لا زال على طبيعته البدوية ، فراعى رسول الله ﷺ حال الرجل وبداوته وأشفق عليه وقدر ظروفه ، فأمر أصحابه أن يكونوا ميسرين لا معسرين .

٤ - الرفق بالمخطئ لا يعني تركه على الخطأ :

ليس معنى هذا أن مَنْ أخطأ نتركه على الخطأ ونقره عليه ، ونسكت عنه حتى لا يغضب ، ليس ذلك ، بل لا بدَّ أن نُعرِّف المخطئ خطأه ، ولذلك مَنْ أخطأ في السلوك لا بدَّ أن نُقوِّم عوجه ، ونبيِّن له انحرافه ، حتى يعود إلى الصراط المستقيم ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا أخطأ أحدهم بيَّن له الخطأ ، ولو كان من أقرب الناس إليه .

عائشة رضي الله عنها ، وهي أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ ، حينما قالت عن صفية بنت حيي بن أخطب : ما يعجبك - يا رسول الله - من صفية إلا أنَّها . . وأشارت بيدها ، تعني قصيرة . لم تكمل الجملة ، ذكرتُ (أنَّ) واسمها ، ولم تذكر الخبر ، (إلا أنَّها . .) ، لكنَّها أشارت بيدها إلى قصرها ، فقال ﷺ : « يا عائشة ، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »^(١) . كلمة تُعكَّر بحرا ، لأنها قالت كلمة فيها غيبة ،

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٣٤)، عن عائشة .

تكرهها صفة لو سمعتها ، والغيبة أن يذكر الإنسان أخاه بما يكره ، في أي شيء يخصه .

فليس معنى أن لا نشقَّ على المخطئ ، أن ندع الناس يُخطئون دون أن نُقومَ خطأهم ، وخصوصا إذا كان الخطأ يتمثل في اتجاه جماعي ، ويشكل خطرا على الجماعة ، عندما بلغ النبي ﷺ أن بعض أصحابه سألوا أزواجه عن عبادته ، وعرفوا منه أنَّهُ ﷺ يقوم بعض الليل وينام بعضه ، ويصوم بعض الأيام ويفطر بعضها ، ويتناول الطيبات من الرزق ، قالوا : وأين نحن من رسول الله ﷺ ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

وكانوا ثلاثة ، فقال أحدهم : أما أنا فأقوم الليل ولا أنام .

وقال الثاني : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال الثالث : وأنا أعزل النساء فلا أتزوج .

فلما سمع النبي بمقالتهم ، لم يدعهم على خطئهم ، وإنما جمعهم ، وقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ^(١) . فليس

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) كلاهما في النكاح ، عن أنس .

مَنِّي ، أي ليس على منهجي ، فمنهجي الاعتدال والتوازن ، فلا يعني كوننا نشفق على المخطئ أن نتركه يخطئ ، أو أن نُقره على الخطأ ، لا ينبغي هذا ، لا بدَّ أن نبيِّن الخطأ ونصحِّحه ، ولكن بالرفق والإشفاق .

٥- الأمانة في العلم :

ينبغي أيضاً للمُعَلِّم أن يكون أميناً في علمه ، أي لا يدَّعي ما ليس له ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تَنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ فَإِنْ خِيَانَةً أَحَدُكُمْ فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) .

يجب أن نُعلم تلاميذنا الأمانة العلمية ، فلا يجوز للتلميذ أن يسرق من صاحبه أو يغشَّ ، كما انتشر بين التلاميذ للأسف عادة الغشِّ ، فلا بدَّ أن نُعلِّمهم أن المسلم أمين ، والأمانة ليست في المال فقط ، بل أمانة العلم أشدُّ ، فالذي يغشُّ هو في الحقيقة يسرق ما ليس له بحقٍّ، وهي أشدُّ من سرقة المال، وهي جناية على نفسه ، وجناية على المجتمع ؛ لأن هذا في الحقيقة تزوير ، أن يأخذ شهادة بأنه تعلم ، وهو لم يتعلم ، سرق الإجابة من غيره ، وأخذ ما ليس له بحقٍّ ، بل أحيانا

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٠/١١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠/٩)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (٦٢٣٢)، عن ابن عباس.

بسرقته وأخذه من هذا كلمة ومن هذا كلمة ، يأخذ أكثر من الطالب المجتهد نفسه ، وهذه خيانة ، فيجب أن نُعلِّمهم الأمانة ، أمانة العلم ، أن الإنسان لا يغش ولا يخدع .

٦- العدل بين المتعلمين :

مطلوب أيضاً من المعلم أو المعلمة أن يعدل بين تلاميذه ، لا يجوز أن يعامل التلاميذ كلٌّ على قدر عائلته ، فمن كان من عائلة غنيّة يعامل برفق ، ومن كان من عائلة فقيرة يعامل بخشونة ، فيعامل التلميذ أو التلميذة على حسب ما يملكه أبوه أو وليُّ أمره من أموال ، فمن يملك المليون ليس كمَن يملك بضعة آلاف ، كما قال الشاعر :

فقيمة ربِّ الألف ألف وزدْ تزد وقيمة ربِّ الدرهم الفرد درهم
أو يعامل على قدرِ جاهٍ وليٍّ أمره ومنزلته في المجتمع ، وهذا لا ينبغي ، هذا يفسد التعليم ، خصوصاً عند الأطفال ، لذلك كان السلف يُسوِّون بين أولادهم حتى في القُبُلات ، لأنك إذا قُبِلَت طفلاً وتركت الآخر جعلتَ في قلبه جمرة من الحسد ، الطفل يُحسُّ بذلك ، ويعتقد أنك حاييتَ أخاه وفضلتَه عليه ، لكنه لا يستطيع أن يُعبّر عن ذلك في أغلب الأحيان . قد يكون لرجل زوجتان ، فيهتمُّ بأولاد المرأة الجديدة ، ويهمل أولاد المرأة القديمة ، وهذا لا يجوز شرعاً ، فالعدل مطلوب .

حب يعقوب ليوسف حب فطري جبلي :

القرآن الكريم قصّ علينا قصة سيدنا يعقوب وأولاده ، وكان يعقوب يحب يوسف وأخاه ، ولم يكن يقصد ظلما ولا محاباة ، إنما هو الحب الفطري الجبلي ، كما قيل لأحد الأعراب : أي أولادك أحب إليك ؟ فقال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يشفى ، وغائبهم حتى يحضر .

فالصغير عادة يحبه والداه أكثر ، خصوصا إذا كانت أمه قد توفيت ، يوسف وأخوه توفيت أمهما ، فأصبح الأب أبا وأما ، وأعطاهما رعاية أكبر ، ولكن مع هذا أوقدت نار الغيرة والحسد في قلوب بقية أبنائه ، وقالوا كما حكى القرآن : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَخُنُّ عَصْبَةٍ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿ (يوسف : ٨، ٩) .

فهذا نتيجة أنه خص يوسف وأخاه بمزيد من العناية ، رغم أن له مبرراته كما قلنا ، ولكن الأولاد لا يقدرّون هذا ، فإذا خصّ مدرس أو مدرسة بعض التلاميذ - ليس لأنه الأفضل من الناحية العلمية ، أو الأفضل من الناحية العقلية ، أو لأنه يؤدّي الواجبات أفضل من غيره - لاعتبارات أخرى ، غير الاعتبارات العلمية ، فهذا لا شك أنه يفسد التلاميذ ، لأنهم يرون أن معلّمهم أو معلّمته غير عادلة .

العدل مع العدو ومع الصديق :

الله تعالى يأمرنا بالعدل مع مَنْ نحبُّ ، ومع مَنْ نكره ، في العدل مع مَنْ نحبُّ يقول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء: ١٣٥) ، قل الحقَّ ولو على نفسك ، وإن كان مُراً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٥٢) .

وفي العدل مع العدو وَمَنْ نكره ، أي مع مَنْ نكرهه ، ومع مَنْ يكرهنا ، يقول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨) ، أي اعدلوا حتى مع الشنآن ، أي مع شدة البُغض والكراهية ، سواء شدة بغضهم لكم ، أو شدة بغضكم لهم ، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ، أي لا يحملنكم هذا على ترك العدل ، ﴿ ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، والمؤمن إذا رضي لا يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحقِّ ، هو مع العدل دائماً ، يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقه ، ويرعى الله في ذلك ، هذا ما يجب على المُعلِّمة أن ترعاه في أخلاقيات مهنة التعليم .

٧- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين :

كذلك يجب أن تُراعى الفروق الفردية بين التلاميذ ، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الناس متفاوتين ، فلا يجوز أن نعامل الناس كأنهم كلهم في مرتبة واحدة ، فمن ناحية العقل هناك النابغ أو النابغة ، وهناك الذكي حاد الذكاء ، وهناك الذكي فقط ، وهناك مَنْ هو أقل من مستوى الذكاء العادي ، وهناك المتوسط في الذكاء ، وهناك المتخلف نوعاً ما . هناك مستويات لا يمكن أن نعامل كلها معاملة واحدة ، أيضاً من التلاميذ مَنْ جاء منهم من بيت فيه علم وثقافة ، وهناك مَنْ جاء من البادية ، لا بد أن نراعي هذا ونراعي ذاك .

مراعاة النبي أحوال السائلين :

النبي ﷺ ، كان أول مَنْ يراعي هذه الفروق الفردية ، ما كان يعطي الناس إجابة واحدة ، يسأل عن الشيء الواحد فيُجيب بعدة إجابات ، وذلك لأنه ﷺ يراعي أحوال السائلين ، وينظر ما الذي يحتاج إليه هذا الشخص ، وأي شيء أحوج إليه ، قال رجل للنبي ﷺ : أوصني . قال : « لا تغضب » . فردّ مراراً ، قال : « لا تغضب »^(١) .

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، وأحمد (١٠٠١١)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٠)، عن أبي هريرة .

وذلك أنه ﷺ رأى في الرجل عصبية ، فأوصاه أن لا يغضب .

ورأى آخر مقصراً في صلاته ، أو مهملاً نوعاً ما في برِّ والديه ، فأخبره أن أفضل الأعمال : « الصلاة لوقتها ، ثم برُّ الوالدين »^(١).

وسئل مرة : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ فقال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف »^(٢).

وهكذا كان ﷺ ، يُراعي الفروق الفردية لدى السائلين له ، وهكذا ينبغي أن يُعامل المعلم والمُعَلِّمة تلاميذه ، لا ينبغي أن يُعامل التلاميذ على أنهم جميعاً في مستوى واحد ، أو قدرات واحدة ، بل ينبغي مراعاة مستوى التلاميذ وقدراتهم ، فالطالب القوي يُعطى السؤال يناسبه ، والطالب الضعيف يُعطى سؤالاً يناسبه ، لا ينبغي أن يُعطى الطالب الضعيف سؤالاً قوياً جداً ، بحيث لا يستطيع أن يجيب عليه ، فيشعر

(١) متفق عليه : رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥)، عن ابن مسعود .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩) كلاهما في الإيمان، كما رواه أحمد (٦٥٨١) ، وأبو داود في الأدب (٥١٩٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٠٠)، وابن ماجه في الأُطعمة (٣٢٥٣) ، عن عبد الله بن عمرو .

بالحرج أمام زملائه في الفصل ، فالمعلم الكفاء يراعي الفروق الفردية لدى تلاميذه .

٨- استعمال الوسائل المعينة على الفهم :

المُعَلِّمُ الناجح الموفق أيضاً هو الذي يستعمل الوسائل المعينة للتلاميذ على الفهم ، وفي سيرة النبي ﷺ نماذج عالية وهائلة ، من ذلك ، ذكرتها في كتابي : (الرسول والعلم) ، لقد كان النبي ﷺ يستخدم كل الوسائل المعينة في عصره ، مرةً يخطُّ على الرمل ؛ ليوضح لهم المعنى المراد ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : « خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » . ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣) ^(١) . ففسر ﷺ الآية ، ووضح المراد منها بهذا الرسم .

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرجه : إسناده حسن ، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤) ، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن . والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصححه ووافقه الذهبي ، عن ابن مسعود .

٩- استعمال النبي للحوار :

ومرّة يستعمل الحوار ، كما في قوله ﷺ : « ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ » . قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط »^(١) .

وقوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ » ثلاثا . قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « الإشراف بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا فقال : - ألا وقول الزور » . فما زال يكررها حتى قلنا : ليته يسكت^(٢) .

وقوله : « أيُّ الخلق أعجب الناس إيمانا؟ » . قالوا : الملائكة قال : « الملائكة كيف لا يؤمنون؟ » . قالوا : النبيون . قال : « النبيون يوحى إليهم ، فكيف لا يؤمنون؟ » . قالوا : الصحابة . قال : « الصحابة مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون؟ » . ولكن أعجب

(١) رواه مسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، والنسائي (١٤٣)، وابن ماجه (٤٢٨) ، جميعهم في الطهارة ، عن أبي هريرة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، كما رواه أحمد (٢٠٣٨٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠١)، عن أبي بكرة .

الناس إيماناً ، قوم يجيئون من بعدكم ، فيجدون كتاباً من
الوحي فيؤمنون به ويتبعونه ، فهم أعجب الناس إيماناً»^(١).

فالحوار ينبئه العقول والأذهان لتلقي المعلومة ، كقوله
أيضاً : «أيُّ يوم هذا؟» . فسكت الصحابة حتى ظنوا أنه
سيسميه بغير اسمه ، قال : «أليس يوم النحر؟» . قالوا : بلى .
ثم قال : «أيُّ شهر هذا؟» . قال : فسكتنا حتى ظننا أنه
سيسميه بغير اسمه ، ثم قال : «أليس ذا الحجة؟» . قالوا :
بلى .

ثم قال : «أيُّ بلد هذا؟» . فسكتوا حتى ظنوا أنه سيسميه
بغير اسمه ، ثم قال : «أليس البلد الحرام؟» . قالوا : بلى .
قال : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى
أن تلقوا ربكم تعالى ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ،
في بلدكم هذا»^(٢). بعد ما يسألهم تصغي إليه الأذان والعقول ،
وتتنبه إلى ما يقول .

(١) رواه البزار (٧٢٩٤) ، وقال : غريب من حديث أنس ، وقال الهيثمي
في مجمع الزوائد (٦٥/١٠) : فيه سعيد بن بشير ، وقد اختلف فيه ،
فوثقه قوم ، وضعفه آخرون ، وبقية رجاله ثقات ، وصححه الألباني
في الصحيحة (٣٢١٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (٦٧) ، ومسلم في القسامة
(١٦٧٩) ، عن أبي بكرة .

١٠ - استخدام الإشارة لترسيخ المعنى :

وأحيانا يشير إشارة حسية ، فبدل أن يقول : التقوى في القلب ، يشير إلى صدره ﷺ ، ويقول : « التقوى هاهنا » . أي في الصدر ، كما في حديث : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا » ويشير إلى صدره ثلاث مرات^(١) . وهو بهذه الإشارة يرسخ المعنى في القلب .

وكقوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى^(٢) . فهذه الإشارة لا تنسى .
وكقوله ﷺ : « كفَّ عليك هذا » ويشير إلى لسانه^(٣) .

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٧٧٢٧) ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه أحمد (٢٢١٥٣) ، وقال مخرجه : صحيح لغيره ، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٠٠) ، عن سهل بن سعد .

(٣) رواه أحمد (٢٢٠١٦) ، وقال مخرجه : صحيح بطرقه وشواهده ، والترمذي في الإيمان (٢٦١٦) ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير (١١٣٩٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦) ، عن معاذ بن جبل .

فكلُّها معينات على حُسن الفَهم ، وعلى المُعلِّم الذي يريد أن يُفيد تلاميذه ، أن يستعمل هذه المُعينات ، حتى يُيسِّر الطريق على التلاميذ ، ويعينهم على حُسن الفَهم ، والسداد في الإجابة .

أثر العلم في السلوك :

ولا بدَّ للمعلِّم الحقيقي أن يتجسَّد خُلُق العلم في سلوكه ، العلم ليس مجرد حفظ كلام ، ولا مجرد حشو الذهن بالمعلومات ، العلم يجب أن يكون له أثر في السلوك ، وإلا كان علما لا ينفع ، ولذلك قال الحسن البصري : « العلم علمان : علمٌ في القلب ، فذلك هو العلم النافع . وعلمٌ على اللسان ، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم »^(١) .

العلم الحقيقي هو الذي يؤثِّر في القلب ، أي يؤثِّر في دوافع الإنسان ونيَّته وحوافزه ، وهذا يؤثِّر في سلوكه ، فلا بدَّ أن يظهر هذا على المعلِّم ، حتى يتلقَّن منه المتعلِّم ، أما إذا كان المعلِّم نفسه قدوة سيئة ، وأُسوة رديئة ، فكيف يتعلَّم منه الخُلُق؟ التلميذ يتأثَّر بمعلِّمه وسلوكيَّاته أكثر ما يتعلَّم من معارفه .

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٣٦٤) .

المُعَلِّمُ الْأُسْوَةُ :

نريد المُعَلِّمَ الْأُسْوَةَ ، والمُعَلِّمَةُ الْقُدْوَةَ التي تغرس في تلميذاتها الفضائل ، لا بالكلام ، ولكن بالسلوك والحال ، فإنَّ الإنسان يُعَلِّمُ بحاله ، أكثر مما يُعَلِّمُ بمقاله ، فالفلسف يقولون : حال رجل في ألف رجل ، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل . حاله : أي سلوكه ، فالسلوك أبلغ من كلام ليس وراءه عمل ، وهذا هو التعليم بالأسوة الحسنة .

لا بدَّ أن تكون المعلمة أسوة حسنة لتلميذاتها ، فتؤثّر فيهم ، كما أثر النبي ﷺ في أصحابه بأسوته ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) ، هذا الخلق هو الذي أثر في أصحاب النبي ﷺ ، وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١) .

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلّمون من النبي ﷺ ، من عمله وسلوكه وأخلاقاته ، من أدبه مع الله ، ومن أدبه مع الناس ، ومن أدبه في السّلم ، وأدبه في الحرب ، وأدبه في المسجد ، وأدبه في الطريق ، وأدبه في البيت ، وأدبه في كلّ شيء ، فكانوا يتعلّمون من فعله أكثر مما يتعلّمون منه بالكلام ، فنحن نريد المُعَلِّمَ الْأُسْوَةَ ، والمُعَلِّمَةُ الْقُدْوَةَ .

العلم الذي لا ينفع :

من أجل ذلك كان النبي ﷺ يستعيز بالله من علم لا ينفع ،
فيقول ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب
لا يخشع ، ومن عمل لا يرفع ، ومن دعوة لا يستجاب
لها »^(١).

واعتبر النبي ﷺ أن العلم الذي لا ينفع هو علم المنافقين ،
العلم الذي يكون على اللسان ولم يتغلغل إلى أعماق القلب ،
قال سيدنا عمر رضي الله عنه : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ
أخوفَ ما أخاف على هذه الأمة كلُّ منافق عليم اللسان »^(٢).
وهذا العلم الذي على اللسان لا يؤثّر في المتعلّمين ،
ولا يؤثّر في الناس .

كان الحسن البصري رحمه الله إذا وعظ الناس في
المسجد ، أجهش الناس بالبكاء ، كأن بين أيديهم جنازة ،
وذلك أن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلوب ، وإذا

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢) ، وأحمد (١٩٣٠٨) ، والنسائي
في الاستعاذة (٥٤٥٨) ، عن زيد بن أرقم .

(٢) رواه أحمد (١٤٣) ، وقال مخرّجه : إسناده قوي ، والبخاري (٣٠٥) ،
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧/١) : رواه البخاري وأحمد
وأبو يعلى ، ورجاله موثقون .

خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان ، ولما سُئل بعضهم لماذا يؤثر الحسن البصري في قلوب سامعيه؟ قال : إن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة . المرأة التي تبكي لموت ولدها تؤثر فيمن رآها أو سمعها ، بخلاف النائحة المستأجرة للبكاء على الموتى ، فتلک يسمعها الناس ولا يتأثرون ببكائها ، من هنا كانت القدوة مهمة في هذا الأمر .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان » . فلذلك نحن نركّز على جانب القدوة ، لا يكون الإنسان مجرد حامل للعلم وليس عاملاً به ، كما وصف الله اليهود بقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة: ٥) ، حمار يحمل مراجع وكتب عظيمة جداً ، ولكنه لا يستفيد منها ، فلا ينبغي للإنسان أن يتحوّل من إنسان إلى حمار يُحمّل العلم ولا يحمله ، أي لا يحمله رسالة مواجهة لحياته ، مؤثرة في نفسه ، مؤثرة في أخلاقه ، فالأسوة مطلوبة في المعلم .

* * *

وفي الختام ، هذه أيتها الأخوات العزيزات ، بعض أخلاقيات مهنة التعليم ، يكفي أن نعرف هذه الملامح الأساسية ، وهذه المعالم في هذا الطريق ، لنستفيد منها في تربية أبنائنا وبناتنا ، ونحاول أن نخرج الجيل المستتير ، الجيل المؤمن المثقف ، الذي ينفع نفسه ، وينفع وطنه ، وينفع أمته ، وينصر دينه بالتربية الحقيقية .

إذا كانت هناك تربية حقيقية من مربيين حقيقيين ، ومربيات حقيقيات : أعتقد أننا نستطيع أن ننشئ هذا الجيل المنشود ، الذي يقوم بالعبء ، وينهض بالرسالة ، ويؤدي واجبه قبل أن يطلب حقه ، وبهذا نرقى بأممتنا ، وننهض بديننا ، وننصر الله لينصرنا الله ، أسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا ، وأن ينير بصائرنا ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، إنه سميع قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
التعليم وأخلاقيات مهنة التعليم.....	٣
التعليم هو صانع الأمم.....	٤
فريق ياباني يرصد سليات التعليم في أمريكا.....	٤
مشكلة التعليم في بلادنا العربية والإسلامية.....	٥
مقومات التعليم.....	٥
التزكية إحدى المهام النبوية.....	٥
معنى التزكية.....	٨
بتزكية وتربية النبي انتصر الصحابة على الفرس والروم.	٩
ما أحوجنا إلى أن نتعلم من نبينا.....	١٠
المنهج النبوي في التعليم قائم على التيسير.....	١١
١- الرفق بالمتعلمين.....	١٢
٢- المعلم لتلاميذه كالوالد لأبنائه.....	١٤
٣- الرفق بالمخطئ.....	١٥
٤- الرفق بالمخطئ لا يعني تركه على الخطأ.....	١٧
٥- الأمانة في العلم.....	١٩
٦- العدل بين المتعلمين.....	٢٠

٢١	حب يعقوب لـيوسف حب فطري جبلي.....
٢٢	العدل مع العدو ومع الصديق.....
٢٣	٧- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.....
٢٣	مراعاة النبي أحوال السائلين.....
٢٥	٨- استعمال الوسائل المعينة على الفهم.....
٢٦	٩- استعمال النبي للحوار.....
٢٨	١٠- استخدام الإشارة لترسيخ المعنى.....
٢٩	أثر العلم في السلوك.....
٣٠	المعلم الأسوة.....
٣١	العلم الذي لا ينفع.....
٣٤	الفهرس.....

مؤلفات فضيلة الإمام : يوسف عبد الله لقرضاوي

• في الفقه وأصوله :

- ١- الحلال والحرام في الإسلام .
- ٢- فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة (أجزاء) .
- ٣- منه سؤال عن الحج والمعركة والأضحية والعديد .
- ٤- فتاوى معاصرة (١٤ جزء) .
- **تيسير الفقه للنسالة المعاصر في ضوء القرآن والسنة :**
- ٦- نحو فقه مبسر معاصر .
- ٧- فقه الطهارة .
- ٨- فقه الصيام .

- ٩- فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة .
- ١٠- فقه اللهو والترديد .
- ١١- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية .
- ١٢- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .
- ١٣- من فقه الدولة في الإسلام .
- ١٤- الفتوى بين الانضباط والتسيب .
- ١٥- عوامل السعة والحرمة في الشريعة الإسلامية .
- ١٦- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد .
- ١٧- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط .

• في الاقتصاد الإسلامي :

- ١- فقه الزكاة (أجزاء) طبعة مزيّدة وممتعة .
- ٢- مشكلة الفقر وكيف علاجها الإسلام .
- ٣- بيع المرابحة للأمر بالتسارع كما تحريمه المصارف الإسلامية .
- ٤- فوائد البنوك هي الربا الحرام .
- ٥- دور الترميم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي .

• في علوم القرآن والسنة :

- ١- الصبر في القرآن .
- ٢- العقل والعلم في القرآن الكريم .
- ٣- كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟
- ٤- كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟
- ٥- تفسير سورة الرعد .
- ٦- المخل لدراسة السنة النبوية .
- ٧- المنقش من الترميم والترديد (أجزاء) .
- ٨- السنة مصدراً للمعرفة والحضارة .
- ٩- نحو برسوة الحديث الصحيح مشروع منفتح مقترح .

• عقائد الإسلام :

- ١- وجود الله .
- ٢- حقيقة التوحيد .
- ٣- الإيمان بالقدر .
- **تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة :**
- ١- الحياة الروبانية والعلم .
- ٢- النية والإخلاص .
- ٣- التوكل .
- ٤- التوبة إلى الله .

• في الدعوة والتربية :

- ١- ثقافة الداعية .
- ٢- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء .
- ٣- الإخوان المسلمون ٧٠ عاماً في الدعوة والتربية والجهاد .
- ٤- الرسول والعلم .
- ٥- الوقت في حياة المسلم .
- ٦- رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد .

• في ترشيد الصعوة والحركة الإسلامية :

- ١- الصعوة الإسلامية وعمود الوضوء العربي والإسلامي .
- ٢- آئين الخل .
- ٣- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة .
- ٤- في فقه الأولويات : دراسة في ضوء القرآن والسنة .
- ٥- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه .
- ٦- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة .
- ٧- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده .
- ٨- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي .
- ٩- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .
- ١٠- الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم .
- ١١- الصعوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .
- ١٢- الصعوة الإسلامية بين الأخلاق والتزود للدم .
- ١٣- الصعوة الإسلامية من المراقبة إلى الرشد .
- ١٤- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام .
- ١٥- من أجل صعوة رائدة تجدد الدين وتنفض بالنسبة .
- ١٦- أمناً بين قرنين .
- ١٧- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق .
- ١٨- تاويلنا المشرى عليه .
- ١٩- الإسلام والعنف نظرات تأصيلية .
- ٢٠- نحن والغرب : أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة .

• سلسلة : حتمية الحل الإسلامي :

- ١- الحل الإسلامي فريضة وضرورة .
- ٢- بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والتفريق .
- ٣- أعداء الحل الإسلامي .

• نحو وحدة فكرية للعلمانيين للإسلام :

- ١- شعول الإسلام .
- ٢- المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة .
- ٣- ضوابط ومبادئ في الفهم والتفسير .
- ٤- موقف الإسلام (من الإلهام والكشف والروى ومن التماثل والكهانة والرقى) .
- ٥- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها .
- ٦- كيف نتعامل مع التراث والتفكير والاختلاف .
- ٧- فصل في القضية بين السلف والخلف بين وأحدث الصف الأبياء وكرامتهم .

• إسلاميات عامة :

- ١- الإيمان والحياة .
- ٢- العبادة في الإسلام .
- ٣- الخصائص العامة للإسلام .
- ٤- مدخل لمعرفة الإسلام (مقوماته) .
- ٥- أهدافه - مصادره .
- ٦- الإسلام حضارة الغد .
- ٧- الناس والحق .
- ٨- جيل النصر المنشود .
- ٩- درس النكبة الثانية .
- ١٠- خطاب الشيخ القرضاوي (تسعة أجزاء) .
- ١١- إبتهالات ودعوات .
- ١٢- لقائات ومحاورات حول قضايا الإسلام والمعصر (أجزاء) .
- ١٣- قضايا معاصرة على بساط البحث .
- ١٤- قطوف دائية من الكتاب والسنة .

• شخصيات إسلامية :

- ١- الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢- الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه .
- ٣- الشيخ الغزالي كما عرفته : رحلة نصف قرن .
- ٤- الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته .
- ٥- البشير إمام الحرمين : بين الميزان والقياس والنسب .
- ٦- في وداع الإمام .
- ٧- عمر بن عبد العزيز الراشد المجدد .
- ٨- نساء مؤمنات .

• في الآداب والشعر :

- ١- نفحات ولذات (ديوان شعر) .
- ٢- المسلمون قادمون - (ديوان شعر) .
- ٣- عالم وطائفة - (مسرحية تاريخية) .
- ٤- يوسف الصديق - (مسرحية شعرية) .
- ٥- ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسير (٢ أجزاء) .
- ٦- الدين في عصر العلم .
- ٧- الإسلام والفن .
- ٨- القباب للمرأة بين القول وبدعيته والقول بوجوده .
- ٩- مركز المرأة في الحياة الإسلامية .
- ١٠- فتاوى للمرأة المسلمة .
- ١١- جريرة الردة عقوبة الرد في ضوء القرآن والسنة .
- ١٢- الأقليات الدينية والحل الإسلامي .
- ١٣- الميشتات بانتصار الإسلام .
- ١٤- مستقبل الأصولية الإسلامية .
- ١٥- القدس قضية كل مسلم .
- ١٦- حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمنا .
- ١٧- فتاوى من أجل فلسطين .
- ١٨- مبادئ في الحوار والتفريق بين المذاهب والفرق الإسلامية .
- ١٩- الأسرة كما يريد الإسلام .
- ٢٠- البابا والإسلام وعلم على البابا بنديكت السادس عشر في كلمته التي ألقاها في روما .
- ٢١- الشريعة السياسية عند الإمام حسن البنا .
- ٢٢- ظاهرة الغلو في التكفير .
- ٢٣- محاضرات الدكتور القرضاوي :
- ٢٤- السنة والبدعة .
- ٢٥- زواج المسافر - حقيقته وحكمه .
- ٢٦- الضوابط الشرعية لبناء المساجد .
- ٢٧- موقف الإسلام القديم من فكر اليهود والنصارى .
- ٢٨- الاستشراق والتبني . في الشريعة الإسلامية .
- ٢٩- حقوق الشيوخ والمسنين في ضوء الشريعة الإسلامية .
- ٣٠- لماذا الإسلام ؟
- ٣١- الإسلام الذي ندعو إليه .
- ٣٢- واجب الشباب المسلم اليوم .
- ٣٣- مسلمة الغد .
- ٣٤- الصعوة الإسلامية بين الآمال والحاذير .
- ٣٥- قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام .
- ٣٦- لن نتبع مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر .
- ٣٧- التربية عند الإمام الشاطبي .
- ٣٨- كلمات صريحة في التفريق بين المذاهب .
- ٣٩- الحكم الشرعي في ختان الإناث .
- ٤٠- الحنة في واقع الحركة الإسلامية المعاصرة .
- ٤١- واجبتنا نحو القرآن الكريم .
- ٤٢- قراءة في واقع الأمة في الفترة الأخيرة .